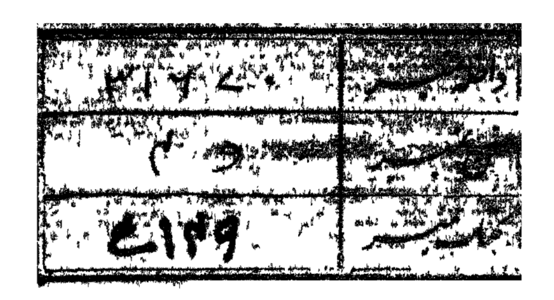


هذا
كتاب
الاضواء البهجه*
في ابراز دقائق المنفرجه*
للامام العلامه* الحبر البحر
الفهامه* شيخ الاسلام زكريا
الانصاري تغمده الله تعالى
برحمته ورضوانه ونفعنا
به وبعلومه آمين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سيدنا ومولانا الشيخ الامام * والحبر البحر الهمام * العالم العامل * والاوحد الفاضل * شيخ الطريقة * ومعدن الفضل والحقيقة * وحيد دهره * وفريد عصره * ناصر السنة * واضح المحجة * ذو الفنون العديدة * والمؤلفات الحميدة * والفتاوى المفيدة * شيخ مشايخ الاسلام والمسلمين * وعمدة المفتيين * ومقصد الراغبين * وبقية المجتهدين * وصدر المدرسين * ومفيد الطالبين * وحجة المناظرين * ومفتي المسلمين * ومربي السالكين * وقدوة العارفين * وقامع المبتدعين * وحافظ سنة سيد المرسلين * ابو يحيى زكريا الانصاري الشافعي * تغمده الله برحمته * واسكنه فسيح جنته * ونفعنا والمسلمين ببركته * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

الحمد لله المفرج للكرب عقب الشدة * المنجي لمخلص عباده من غياهب الظلم المعتدة * والصلاة والسلام على سيد الانام * وعلى آله وصحبه الغر الكرام (وبعد) فهذا ما اشتدت اليه حاجة المتفهمين للمنفرجة قصيدة الامام العلامة الحبر البحر الفهامة العارف بالله تعالى الرباني ابي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الاصل المعروف بابن النحوي على ما قاله العلامة ابو العباس احمد بن ابي زيد البجائي شارحها او ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابرهيم الاندلسي القرشي

على ما قاله العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته مع نقله
الاول عن شارحها المذكور عن ابي عبد الله محمد بن علي التوزري
المعروف بابن المصري نفعنا الله ببركاتهما من شرح يحل
الفاظها ويبين مرادها ويكشف لطلابها نقابها على وجه لطيف
ومنهج منيف لخصته من الشرح المشار اليه وغيره مع تبديل
وتغيير لما يحتاج الى تحريره والله اسأل ان ينفع به وان يجعله
خالصا لوجهه (وسميته) بالاضواء البهجة في ابراز
دقائق المنفرجة وهي من البحر السادس عشر المسمى بالخبب الذي تركه
الخليل وغيره واثبته الاخفش وغيره وتفعيله فاعلن ثمان مرات
وسمي بالخبب لقصر اجزائه ولان تقطيع ابياته يحاكي في السمع
ركض الخيل وخببها وزحافه الخبن وهو حذف الثاني الساكن
واذا سكنت عينه فقيل بالاضمار بعد الخبن وقيل بالقطع
وقيل بالتشعيث على ما هو مبين مع الصحيح منها في محله وهذه
القصيدة سماها الشيخ تاج الدين السبكي بالفرج بعد الشدة
قال وهي مجربة لكشف الكروب وان كثيرا من الناس يعتقد
انها مشتملة على الاسم الاعظم وان ما دعي بها احد الا استجيب
له قال وكنت اسمع الشيخ الامام الوالد اذا اصابه ازمة ينشدها
والظاهر ان ناظمها ابتدأها لفظا او خطا ببسم الله الرحمن الرحيم او بالحمد لله لخبر
كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم وفي رواية بالحمد لله
فهو اجذم اي مقطوع البركة * ثم قال مخاطبا لما لا يعقل
بعد تنزيله منزلة من يعقل كقوله تعالى يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي

لخبن
٥

(اشتدّى) يا (ازمة) اى شدة وهى ما يصيب الانسان من الامور المقلقة من الامراض وغيرها (تنفرجى) بالجزم جوابا للامر اى تذهبى بمعنى يذهب همّك عنا (قد اذن) بالمدّ وفتح المعجمة اى اعلم (ليلك بالبلج) وهو استعارة للفرج لاشتراكهما فى الاذهاب والتحصيل لان الضياء يذهب الظلمة والفرج يذهب الحزن ويحصل بكل منهما السرور وخص الليل بالذكر لاشتداد الكرب فيه واستعار للضياء وهو كناية عن الكرب لانه لازم له كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان اى خاف ربه ومانحن فيه علم انه ليس المراد حقيقة امر الشدة بالاشتداد ولا ايذاها بل المراد طلب الفرج لنزول الشدة لكن لما ثبت بالادلة ان اشتداد الشدة سبب الفرج كقوله تعالى ان مع العسر يسرا وقوله وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وقوله صلى الله عليه وسلم وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا امرها ونادا اقامة للسبب مقام المسبب وفيه تسلية وتأنيس بان الشدة نوع من النعمة لما يترتب عليها وقد للتحقيق والتقريب لانه طلب من الشدة انفراجها باذن الله تعالى وعلل طلب انفراجها بمضمون الجملة المذكورة فكانه قال انما طلبت منك ذلك لتحقق حصوله وقربه عند اشتدادك واسناد الاعلام الى الليل مجاز عقلى كما فى انبت الربيع البقل وليله قائم وفى البيت من انواع البديع براعة المطلع وهى سهولة اللفظ وحسن السبك ووضوح المعنى وتناسب المصراعين وعدم تعلق البيت بما بعده وبراعة الاستهلال وهى ان يكون المطلع دالا على ما بنيت عليه القصيدة ونحوها

براعة المطلع ٥

كما بنى قصيدته على بيان سلوك الآخرة بتصفية القلب ورياضة النفس اذ مضمون البيت ان الشدة يعقبها الفرج فقد انبأ عما قصده لان سلوك طريق الآخرة فيه على النفس أعظم مشقة يعقبها اتم فرج والاقتباس وهو ان يضمن الكلام شيئا من القرآن او الحديث خاصة ولا ينبه على انه منه وهو هنا فى المصراع الاول فقد روى انه من الحديث والطباق فى المصراعين وهو ان يجمع بين امرين متقابلين كما جمع بين الاشتداد والانفراج وبين الليل والنهار وعطف على الجملة السابقة قوله (وظلام الليل له سرج) وهى الكواكب غير الشمس يمتد نورها (حتى يغشاه ابو السرج) وهو الشمس وجعلت اباها لانها الاصل اذ بنورها يذهب نور تلك ولان نور القمر الذى هو اقوى من نور بقية الكواكب الليلية مستفاد من نورها على ما قاله اهل الهيئة والمراد ان الكروب الشديدة لا بد فى اثنائها من الطاف يخف معها الالم حتى يتفضل الله تعالى بالفرج التام الذى لا الم معه ولا كرب كالليل المظلم جعل الله فيه الكواكب يقل بها ظلامه ويخف بها قبضه حتى يدخل النهار فيذهب به ظلامه كله وتنبسط النفس بضوئه وفى البيت الجناس التام وهو ان يتفق اللفظان فى انواع الحروف واعدادها وهيئاتها وترتيبها ورد العجز على الصدر وهو اعادة اللفظة بعينها او ما تصرف منها فى آخر المصراع الثانى بعد ذكرها فى صدره او فى حشوه او فى الاول كما فى سرج مع السرج وعطف

الاقتباس ٥

الطباق ٥

الجناس التام ٥

رد العجز على الصدر

على الجملة السابقة ايضاً قوله (وسحاب الخير) وهو الغيم (لها)
وفي نسخة له (مطر * فاذا جاء الابان) وهو بكسر الهمزة وتشديد الموحدة الوقت والمراد وقت السحاب (نجي) بالقصر للوقف اى السحاب
لما سلى ذوى الشدائد ورجاهم بانها وان عظمت ففي اثنائها الطاف
تمتد الى الفرج التام اشار الى الحث على التزام الصبر في ازمنة
تلك الشدائد لانها لا تنقضي الا بانقضاء زمانها ولا يأتي الفرج
الا في زمانه المقدر له كالسحاب التي يكون عنها الخصب بنزول المطر
لها وقت مقدر لا تتقدم عليه ولا تتأخر فالعاقل لا يسعه الا الصبر
والتسليم لله تعالى وحسن الظن به ولا ينفعه الجزع لانه محنة للقلب
بلا فائدة وفيه سخط الرب ولعل الفوائد في الشدائد قال تعالى وعسى
ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئاً وهو شر لكم وقال تعالى
فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً وقريب من هذا
قول الشافعي رضي الله عنه (ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعاً وعند الله منها المخرج)
(ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج) وقول غيره
(توقع صنع ربك سوف يأتي * بما تهواه من فرج قريب) (ولا تيأس اذا ما ناب خطب * فكم في الغيب من عجب عجيب)
وفي البيت رد العجز على الصدر وهو في جاء ويجيء وعطف على الجملة ايضاً
قوله (وفوائد مولانا) اى ناصرنا تعالى وهي جمع فائدة وهي ما حصل من
الاشياء النافعة في الدين والدنيا يقال منه فادت لك فائدة
اى ثبتت (جمل) اى كثيرة من انواع لا تحصى قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها (لسروح الانفس والمهج) بالسين والحاء المهملتين
من سرحت الدابة سروحاً بالغداة ضد الرواح بالعشي اى لسروح

الانفس والارواح لطلب منفعة معاش او معاد والاضافة فيه
من اضافة الصفة الى الموصوف كسحق عمامة اى الانفس والارواح
السوارح وفى رواية بالشين المعجمة اى عطاياه تعالى كثيرة معدة
لشروح الانفس والارواح باذهاب احزانها فكيف ييأس العاقل
عند اشتداد الازمة وقد روى البخارى خبر ما يصيب المؤمن
من وصب ولا نصب ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيئاته
وخبر ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتب الله له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة وخبر من يرد الله به خيرا يصيب منه *
وكل ذلك مبنى على الصبر وهو اربعة انواع صبر على الطاعة وصبر
عن المعصية وهما اساس طريق الاستقامة وصبر عن فضول الدنيا
وهو اساس الزهد وصبر على المصايب والمحن وهو اساس الرضا
والتسليم لله تعالى وحسن الظن به وهو اشق الانواع على النفس فلذلك
افرده الناظم بالذكر فرجى اولا بانقضاء الشدة وانس النفس بالمحن ثانيا
وامر بالصبر ثالثا كما تقرر ثم اشار الى كرمه تعالى وكثرة عطاياه
لمن طلبها من بابها على وجهها بالصبر والادب وحسن الظن
والمهج جمع مهجة قال الجوهرى وهى الدم وقيل دم القلب وقيل الروح
وهو المراد هنا كما شرحت عليه والمشهور ان الروح هى النفس فالمسوغ
لعطفها عليها اختلاف اللفظ كعطف رحمة على صلوات فى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وحقيقة الروح لم يتكلم عليها
النبى صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ولا نعبر عنها باكثر من موجود كما قال
الجنيد وغيره والخائضون فيها اختلفوا فقال جمهور المتكلمين

مطلب انواع الصبر م

مطلب معنى المهجة والروح م

انها جسم لطيف شفاف حي لذاته سار في البدن كماء الورد في
الورد واحتج له بوصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد
في البرزخ وقال كثير منهم انها عرض وهي الحياة التي صار البدن
بوجودها حيا وقالت الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست
بجسم ولا عرض وانما هي جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق
بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وفي البيت
الايغال وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وهو
في المهج وعطف على جملة قوله (ولها ارج) اى للفوائد ارج من ارج
الطيب ارجا واريجا اذا فاح وانتشر (محيي) بضم الميم من الاحياء
وهو اعطاء الحيا وهي صفة تقتضي الحس والحركة الارادية
اى محيي النفوس الزكية بان يحييها الله به (ابدا) اى دائما (فاقصد
محيا) بفتح الميم من الحيا اى فات زمانا ومكانا (ذاك الارج) والمراد
اقصد ذاك الارج الشريف في زمانه ومكانه الا انه كنى عنه بقصد
محياه اى زمانه ومكانه لانهما لا زمان له والمعنى الذى ذكره
منتزع من كتاب الله تعالى كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب الآية وفي البيت رد العجز على الصدر
وقدم والتتميم وهو ان يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المراد بفضلة
لنكتة وهو هنا في ابدا والجناس المحرف وهو ما اختلفت كلماته في
هيئة الحروف وتوافقت في نوعها وعددها وترتيبها وهو هنا في
محيي ومحيا واذا امتثلت امري (فلربما) اى وقت (فاض) اى كثر فيه

الايغال

التتميم

الجناس المحرف

(المحيا) بفتح الميم اى مكان المحيا (بحور الموج) وهو المرتفع من الماء
(من اجل (اللجج) وهى معظم الماء شبه المحيا فى كثرة الانوار والمعارف
بواد فيه ماء ملاه وارتفع على جوانبه والجامع بينهما المحلية
وهى كون الوادى محلا للماء والمحيا محلا للانوار والمعارف
وطوى ذكر المشبه به واتى بلازمه وهو الفيض فتشبيه المحيا
بالوادى استعارة بالكناية واثبات الفيض له استعارة تخييلية
ثم ذكر ان الفائض من ذلك المحيا بحور بمعنى انه انبسط على
الجوارح وسائر الجسد من المحيا المشبه بالوادى انوار عظيمة
واسرار كثيرة شبيهة فى كثرتها وانتشارها وتراكمها بالبحور
وهذا تشبيه آخر فى الفائض على وجه الاستعارة الاصلية المصرحة
ثم رشحها بالموج واللجج مبالغة والحاقا لها بالحقيقة حتى بنى
عليها ما بنى على الحقيقة وحاصل المعنى انك اذا امتثلت الامر
المذكور فقد غمرك فضل الله فى الدارين فيفيض عليك خيرا كثيرا
كالبحور المتلاطمة امواجها من كثرتها وفى ربّ سبعون لغة ضم الراء
وفتحها مع تشديد الباء وتخفيفها مفتوحة فى الضم والفتح او مضمومة
فى الضم كل من الستة مع تاء التأنيث ساكنة او مفتوحة او مضمومة
او مع ما او معهما باحوال التاء او مجردة منهما فذلك ثمان واربعون
وضمها وفتحها مع اسكان الباء كل منهما مع التاء مفتوحة او مضمومة
او مع ما او معهما بحالتى التاء او مجردة فذلك ثنتا عشرة وربتا
بضم الراء وفتحها كل منهما مع اسكان الباء او فتحها او ضمها مخففة
كا او مشددة فى الاخيرين فذلك عشرة فالجملة سبعون

مطلب لغات رب ٥

وان نظرت الى تحريك التاء بالكسر كما اقتضاه تعبير من عبر فيها بتحريكها بدل فتحها زادت اللغات على ذلك قال ابن هشام وليس معناها التقليل دائماً خلافاً للاكثرين ولا التكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة بل ترد للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً او وقيل لا تدل على شئ منها الا بقرينة وفي البيت الائتلاف وهو الجمع بين المتناسبات لا بالتضاد وهو في الموج واللجج والابغال والتتميم وقدم او وهما في قوله من الحج ثم استأنف فقال (والخلق) بمعنى المخلوق حالة كونه (جميعا) اى مجموعاً (في يده) اى قوته او نعمته (فذوو سعة) اى يسار (وذوو حرج) اى ضيق وفي نسخة من ذي سعة اوذي حرج نبه بذلك على جلال الله وكمال احاطته بعالم الغيب والشهادة وتفصيله لا يعلم كنهه الا الله قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ودل تنوين سعة وحرج على تنويعهما وتكثيرهما فيشملان الغنى والفقر والعلم والجهل والجاه والخمول وغيرها وسعة بفتح السين لفظا وكسرها تقديراً لان المضارع منها بالكسر لكنه فتح لحرف الحلق واصلها وسعة بكسر الواو فاعلت تبعاً للمضارع بحذف الواو لوقوعها فيه بين ياء مفتوحة وكسرة مقدرة وفي البيت الجمع والتفريق وهو ان يجمع شيئان في حكم واحد ثم يفرق بينهما كما جمع الناظم الخلق في نفوذ قدرة الله تعالى فيهم ثم فرق بينهم بان فصلهم الى موسع عليه ومضيق عليه والتتميم وقدم وهو في جميعا والطباق وقدم وهو في المصراع الثاني والترديد وهو ان تعلق لفظة بمعنى ثم باخر كما علق ذوو

الائتلاف ٥

لعله قدرته ٥

الجمع والتفريق ٥

الترديد ٥

اوّلاً بالسّعة وثانياً بالحرج ومنه قوله تعالى حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله اعلم وقوله تعالى لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون (و) اما (نزولهم) اى الخلق من علو الى سفل حسّاً او عقلاً اعنى مرتبة (وطلوعهم) من سفل الى علو كذلك (فعلى درك) فى الاول (وعلى درج) فى الثانى وفى نسخة فالى درك والى درج يقال النار دركات والجنة درجات والمناسبة ظاهرة نبّه بهذا البيت وما بعده على طلب الخوف والرجاء والتوكل والتسليم لامر الله تعالى تاكيداً لامر الصبر الذى هو اساس التقوى وقد شبّه ما يحصل للعبد من محسوس ومعقول بالدّرك والدّرج بجامع المحليّة لانّ الدرك والدّرج محلان لمن حلّ فيهما فى وقت مخصوص كما انّ الانتقالات فى الاحياز واكتساب المعانى السّفليّة والعلويّة محل لكسبه مقدّرة بمقادير وصفات مخصوصة واطلق اسم المشبّه به على المشبّه كما اطلق اسم النزول والطّلوع على اكتسابها مبالغة فى التشبيه بالاستعارة التحقيقيّة وفى البيت الطباق فى المصراعين والمناسبة اللفظيّة فيهما وهى الاتيان بكلمات مترنات مقفيات كما فى الاول وغير مقفيات كما فى الثانى واللّف والنشر وهو ان يؤتى باشياء ثم تقابل باشياء بعدها يردّ كل واحد منها الى ما يناسبه من غير تعيين ثقة بفهم السامع والترديد فى على والجناس اللاحق وهو ما اختلفت كلماته بحرف بعيد فى المخرج وهو فى درك ودرج كما فى قوله تعالى وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد *

(ومعايشهم) فى الدنيا من مطاعم وملابس ونحوها (وعواقبهم)

المناسبة اللفظية ٥
اللّف والنشر
الجناس اللاحق ٥

في الاخرة من سعادة وشقاوة (ليست في المشي) اليهم (على عوج) بل مستقيمة فانها ارادة مقدرة لله تعالى موجهة اليهم في اوقاتها المخصوصة كنزولهم وطلوعهم وهي معايش شاذة لان ياءها عين الكلمة بخلاف صحائف فان ياءها زائدة وقد شبه المعايش والعواقب بخصوصها شيئاً فشيئاً بالماشي واثبت لها المشي فتشبيهها بالماشي استعارة بالكناية واثبات المشي لها استعارة تخييلية وفيه اشارة الى الاجمال في الطلب للمامور به في خبر اتقوا الله واجملوا في الطلب وفي البيت المناسبة اللفظية والطباق والجمع وهو ان يجمع شيئان في حكم كما في قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وتلك المذكورات من السعة والحرج والنزول والطلوع والمعايش والعواقب (حكم) من الله تعالى جمع حكمة وهي صواب الامر وسداده لانه تعالى يتصرف في عبيده بما يشاء وافق غرضهم اولا وربك يخلق ما يشاء ويختار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وحظ العبد اياك نعبد واياك نستعين (نسجت) تلك الحكم (بيد) اي بقوة الله تعالى (حكمت) اي قضت في كل الامور لا راد لما قضى (ثم انتسجت) تلك الحكم اي التحمت (بالمنتسج) اي المؤتلف والمراد به العبد المقضي عليه بالمقادير شبه تلك الامور في تعلقها بالعبيد وتناسبها اليهم مع تأثرهم بها ارتفاعاً وانخفاضاً بخيوط تنسج او نسجت لها النسج فتشبيهها بالخيوط استعارة بالكناية واثبات النسج لها استعارة تخييلية وذكر اليد ترشيح للاستعارة لانها تناسب النسج والخيوط لكونها بها وفيه تنبيه العاقل على تلقي المقادير بالقبول وتسليم الامر لله تعالى للعلم بانه

الجمع ٥

العبد شئ من الامر وان الامر مرتبط بمشيئة الله تعالى ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمألوفات والمراد بالحكم المقادير المصورة بصورة الخيوط المنسوجة وانتسج مطاوع نسج والنسج الاحكام وثم للتعقيب بمعنى الفاء كما فى قول الشاعر (كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب) او للتراخى فى الرتبة لان الانتساج متأخر عن النسج رتبة تأخر المعلول عن علته وفى البيت من الجناس المحرف وقدمر وهو هنا فى حكم وحكمت والاشتقاق وهو هنا فى نسجت مع يد وشبه الجناس وهو ان يجمع اللفظين الاشتقاق او شبهه وهو هنا فى نسجت وانسجت والمنتسج وشبه الازدواج وهو ان يؤتى بجمل متعاطفة بغير الواو ومرتب بعضها على بعض وهو هنا فى نسجت وانتسجت والجناس تشابه اللفظين فى التلفظ والازدواج توالى كلمات الجناس ومنه قولهم من طلب شيأ وجد وجد ورد العجز على الصدر فى الفعل الاول مع الثانى ومع اسم الفاعل والتسميط فى حكمت والتسميط وهو ان يصير الشاعر البيت اربعة اقسام ثلاثة منها على سجع واحد وهو فى الافعال الثلاثة واذا كانت المذكورات حكما كما ذكر (فاذا اقتصدت) اى توسطت فى نظر العقل (ثم انعرجت) اى مالت فيه (فبمقتصد) اى فاقتصادها وانعراجها كائنان بمقتصد (وبمنعرج) بكسر الصاد والراء وهو العبد المقضى بها عليه فيصير باقتصادها فى نظره مقتصدا وبانعراجها فيه منعرجا كما يصير باكتمالها فيه مكتملا فيتعرف اليه الحق فى الاحوال الثلاثة فيتعرف اليه فى حال اكتمالها باسمه الجواد المنعم الكريم الغنى

وشبه الجناس
شبه الازدواج
الجناس
الازدواج
التسميط

وفي حال اقتصادها باسمه الحليم اللطيف وفي حال انعواجها باسمه القاهر العدل الحكم وتبدل هذه الاحوال من آثار القدر الذي استأثر الله بعلمه واخفاه عن خلقه والواجب تسليم الامر لمن له الخلق والامر لا اله الا هو واجر على هذا في باقي متعلق اسمائه تعالى *
قال ابن عطاء الله ان آدم عليه السلام لما تعرف اليه الحق سبحانه وتعالى بالايجاد فناداه آدم يا قدير ثم تعرف اليه بتخصيص الارادة فناداه يا مريد ثم تعرف اليه بحكمه لما نهاه عن اكل الشجرة فناداه يا حاكم ثم قضى عليه باكلها فناداه يا قاهر ثم لم يعاجله بالعقوبة اذ اكلها فناداه يا حليم ثم لم يفضحه في ذلك فناداه يا ستار ثم تاب عليه فناداه يا تواب ثم اشهده ان اكله من الشجرة لم يقطع وده فناداه يا ودود ثم انزله الى الارض ويسر له اسباب المعيشة فناداه يا لطيف ثم قواه على الذي اقتضاه منه فناداه يا معين ثم اشهده سر النهي والاكل والنزول فناداه يا حكيم ثم نصره على العدو والكائد له فناداه يا نصير ثم ساعده على اعباء تكاليف العبودية فناداه يا ظهير وقال فما انزله الى الارض الا ليكمل له وجوه التعريف ويقيمه في وظائف التكليف فتكملت فيه العبوديتان عبودية التعريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله تعالى عليه وتوفر احسانه لديه بعد ان كان في الجنة متعرفا اليه بالرزق والعطا والاحسان فاراد الحق سبحانه من خفي لطفه في تدبيره ان ياكل من الشجرة ليتعرف اليه في الارض بما تقدم لان الدنيا محل الوسائط والاسباب والجنة محل مشاهدة الانعام ونبه الناظم بتمام

على ان الانحراج متراخ عما قبله فى الرتبة لقلته وكثرة ما قبله
تفضلاً منه تعالى لان معاملته لخلقه بمقتضى رحمانيته اكثر
ولهذا قال تعالى عذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شئ
وقال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه ان رحمتى سبقت غضبى والانسان
يعدّ ايام المحنة ولا يعدّ ايام النعمة وفى البيت الطباق والمناسبة
اللفظية بالتقفية وبدونها واللف والنشر وشبه الجناس وردّ
العجز على الصدر والارصاد وهو ان يجعل قبل العجز من الفقرة
او من البيت ما يدل عليه اذا عرف الروى ومنه قوله تعالى وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (شهدت بعجائبها) اى الحكم
او انواع المخلوقات (حجج) بضم الحاء اى ادلة كما شهدت بحكمة وجود
صانعها (قامت) اى استقلت او دامت او ظهرت او غلبت وفى
نسخة فاقت (بالامر) واحد الامور اى الشان او الوصف او واحد
الاوامر اى القول الطالب للفعل وكل منها مراد اى قامت الحجج
بان الامر فى كل امر هو الله تعالى كما هو مقرر فى محله وقيل المراد
الشان او الوصف اى قامت بشأن الربوبية او بوصفها (على)
ممرّ (الحجج) بكسر الحاء اى السنين وقيل بضمها اى الادلة الدالة
على ان المؤثر العقول او نحوها كدليل الفلاسفة ودليل الطبائعيين
والمنجمين وغيرهم وفى كلامه استعارة اما بالتبعية بان شبه
دلالة الحجج فى كمال وضوحها بالشهادة ثم اشتق الفعل منها
واما بالكناية بان شبه الحجج فى افادتها المدلول بالشهود واثبت
لها الشهادة فتشبيهها بالشهود استعارة بالكناية واثبات

الارصاد ٥

نسخة ليس فيها وقيل وفيها بدل اى قامت او قامت الخ

الشهادة لها استعارة تخييلية وفي البيت الترديد ورد العجز على الصدر ان ضمت حاء الحج والجناس المحرف ان كسرت والتتميم والايغال (ورضي بقضاء الله) تعالى (حجى) بفتح الحاء مع فتح الجيم وكسرها اى حقيق على كل مؤمن ليصون به ايمانه وسائر طاعاته وبكسرها مع فتح الجيم اى عقل بحذف مضاف اى عزيز او جعله العقل مبالغة لانه سبب للسعادة الدينية والدنيوية فجعله العقل الذي هو اشرف ما منحه الانسان والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد والقضاء هو الحكم بالكليات مجملة في الازل والقدر هو الحكم بوقوع جزئياتها مفصلة فيما لا يزال قال الله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ويقرب من ذلك قول بعضهم القضاء ايجاد جميع المخلوقات في اللوح المحفوظ مجملة والقدر ايجادها في الاعيان مفصلة قال تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا اى فابرزه على ما سبق في علمه ويطلق القضاء على المقضي ومنه ما في خبر البخاري اللهم انى اعوذ بك من درك الشقاء وسوء القضاء وهذا لا يجب الرضى به مطلقا بل ان كان واجبا كالايمان وجب الرضا به او مندوبا ندب او مباحا ابيح او مكروها كره او حراما حرم بخلاف القضاء بالمعنى الاول يجب الرضى به مطلقا فالمقضي عليه بمعصية من كفر او غيره يحرم عليه الرضا بها من حيث انها مكتسبة له ومنهى عنها ويجب عليه الرضا بها من حيث انها خلق الله تعالى وايجاده لانه متى سخطها كان قال لم فعل بي هذا او انا لا استحقه كان ذلك كفرا او معصية اخرى بحسب حاله

معنى القضاء والقدر ٥

لخبر ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى
ولم يشكر نعمائى فليتخذ الها سواى والرضى قسمان قسم يكون
لكل مكلف وهو ما لابد منه فى الايمان وحقيقته ان لا يعترض
على حكم الله وتقديره وهو ما اشار اليه الناظم بما مر وقسم
لا يكون الا لارباب المقامات وذوى النهايات وحقيقته ابتهاج
القلب وسروره بالمقضى قالت رابعة رضى الله عنها لما سئلت
متى يكون العبد راضيا اذا سرته المصيبة كما سرته النعمة *
واختلفوا فى هذا هل هو من المقامات او من الاحوال فقال اهل
خراسان بالاول ومعناه انه مكتسب للعبد وهو نهاية التوكل
واهل العراق بالثانى وليس مكتسبا بل يحل بالقلب كسائر الاحوال
قال بعضهم ويمكن الجمع بينهما بان بداية الرضى مكتسبة
فهو من المقامات ونهايته غير مكتسبة فهو من الاحوال والى هذا
القسم مع التنبيه على انه من المقامات وان القسم الاول اساسه
اشار الناظم بقوله (فعاج ركوبه) اى لا على غيرها (فعج) اى
فاعطف يقال عجت البعير اعوجه عوجا ومعاجا اذا عطفت
راسه بزمامه اى لكون الرضى حقيقيا على كل مؤمن او لكونه اجل
مطالبه فاعطف على اعلاه واشرفه الذى هو فى شرفه ومدار
صحة الايمان عليه والتوصل اليه من جميع جهاته واسبابه كمركز
الدائرة وبهذا علم انه شبه الرضى بالدائرة واعلاه واشرفه بمركزها
ورشح هذه الاستعارة باستعارة العوج الذى هو العطف
للطلب الكائن من جميع الجهات والاسباب وفى البيت المناسبة اللفظية

هكذا بالاصل

الاتساع

في رضى ويجيء بوزنه والاتساع وهو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل (وإذا انفتحت) لك (أبواب هدى) أي اهتداء بأن خلقه الله فيك (فاعجل) أي فأسرع (لخزائنها) جمع خزانة بكسر الخاء (ولج) أي ادخل فيها استعار الانفتاح لارتفاع الموانع الحسية وانكشاف الحجب النفسية وزوال العلائق المعنوية المانعة من نيل المقامات والمعارف وأستعار الأبواب لتلك الموانع والحجب والعلائق لانها تمنع من الهدى فلا يحصل في محله الا بزوالها كالابواب لا يتوصل الى ما وراءها الا بفتحها والعجلة كناية عن الجد في الطلب وقوة العزم ومجاز عنهما والولوج كناية عن الثبوت في تلك المقامات والمعارف *

والحاصل انه شبه في الصدر الهدى المتضمن لما اكتسبه العبد من المقامات والمعارف بخزائن لها ابواب مغلقة بجامع ان المشبه مظنة القرب من الله الذي هو اعظم مطلوب والمشبه به محل للاموال النفيسة فالتشبيه استعارة بالكناية واثبات الابواب للهدى استعارة تخييلية وترشيحها بالانفتاح الملائم للابواب ثم اشتق منه العقل فهو استعارة تبعية ثم رتب على ذلك العجز كما تقرر وتضمن كلامه التنبيه على اصل عظيم في السلوك وهو مخالفة النفس في شهواتها ويتحقق بما ذكر لان طبعها الميل الى ترك العبادة والى حظها من فعلها ولهذا قال العلماء مخالفة النفس رأس العبادة ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد اهلكها بمهلكاتها كالكبر والعجب والحسد وطول الامل وكيف يصح لعاقل الرضا عن النفس

هكذا في النسخ ولعله الفعل

والله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي والهدى
قد يكون لازمًا بمعنى الاهتداء وهو وجدان الطريق الموصل
للمطلوب كما مرت الاشارة اليه ويقابله الضلال وهو
فقدان الطريق الموصل وقد يكون متعديًا بمعنى الدلالة على
الطريق عند اهل الحق وعلى الطريق الموصل للبغية عند المعتزلة
ويقابله الاضلال بمعنى الدلالة على خلافه كاضلني فلان عن الطريق
الموصل للبغية والهدى انما يستعمل في الخير لانه لغة الدلالة بلطف
واما قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على طريق التهكم
وفي البيت التمكين وهو ان يمهد الناثر لسجعه او الناظم لقافيته
تمهيدًا به تأتي كل منهما متمكنة في مكانها غير نافرة ولا قلقة
ولا مستدعاة لما لا تعلق له بالفقرة او البيت (واذا حاولت)
اي طلبت (نهايتها) اي الابواب والهدى فانه يذكر ويؤنث ولانه
بمعنى الخزانة والمعنى اذا طلبت الانتقال الى مقام او حال (فاحذر
اذ ذاك من العروج) اي فالزم فيه حسن الادب من الثبات عليه
وموافقة مراد الله تعالى ولا تختر الانتقال عنه حتى ينقلك الله
الى ما هو ارفع منه فان تشوفت الى الانتقال بنفسك لتبلغ الغاية
فقد بلغت غاية الجهل بربك واسات الادب في حقه ولا تصل
الى مطلوبك فكن كما قال ابن عطاء الله كن عبدًا لله في كل شيء
عطاءً ومنعًا وعزًا وذلًا وولاية وعزلًا وغنى وفقرًا وقبضًا
وبسطًا وفقدًا ووجدًا وشدة ورخاءً وبقاءً وفناءً الى غير ذلك
من مختلفات الآثار وتنقلات الاغيار وكنى عن عدم الوصول بالعروج

التمكين

اوشبه به عدم دوام الاستقامة لان كلا منهما لا يوصل معه
الى مقصد قريب او لا يوصل اليه البتة وتضمن كلامه مع ما ذكر التحذير
من حظوظ النفس ومن الركون الى غير الله فى اثناء السلوك

قال الشيخ ابو الحسن التسترى رضى الله تعالى عنه

فلا تلتفت فى السير غيرا فكلما سوى الله غير واتخذ ذكره حصنا * وكل مقام لا تقم فيه انه
حجاب فجد السير واستنجد العونا * ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنا * وسر نحو اعلام اليمين فانها
سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا. ثم علل قوله فاخذ الخ بقوله (لتكون من السباق)
الى فرج الجنة (اذا ما) زائدة للتاكيد (جئت) معهم (الى تلك الفرج)
اراد بالمجئ السير لا بنقل الاقدام بل بنظر القلب فشبه النظر فى
المعقولات الموصلة الى المطلوب بالمجئ الحسى وشبه المنظور فيه
وهو المعقولات بالامكنة لانها محل لحركة النظر كما ان تلك الامكنة
محل لحركة الاقدام واطلق اسم المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة
التحقيقية والى متعلق بالسباق فان وصلت الى تلك الفرج (هناك)
اى لا فى غيره (العيش وبهجته) اى الحياة الكاملة وحسنها (فلمبتهج)
اى مسرور بما حصل له من لذة التجلى على اختلاف رتبها (وللمنتهج)
من المنهج وهو الطريق واستعير للتقوى فالمراد وللمتقى واتيانها
بامتثاله فعلا وحالا فى معانى التقوى الظاهرة والباطنة الموصلة
الى صفو اليقين الموجب للابتهاج اى فاجمعوا لهذين الصنفين
العظيمين من بين الناس لان ما عداهما اما هالك او فى الخطر
والتنوين فيهما للتعظيم والتنويع ولما اختلفا فى المقام اختلفا

في التعبير عمّا في الضمير فالمبتهج يقول مخبراً بذوقه (ذكرتك لا أني نسيتك لمحة
وأيسر ما في الذكر ذكر لساني * وكدت بلا وجد أموت من الهوى * وهام على القلب بالخفقان)
(فلما أراني الوجد أنك حاضري * شهدتك موجوداً بكل مكان) (فخاطبت موجوداً بغير تكلم *
ولاحظت معلوماً بغير عيان) والمبتهج يقول مخبراً عن حال سيره ومجاهدة نفسه بالمراقبة دنية
(كان رقيباً منك يرعى خواطري * وآخر يرعى خاطري ولساني) (فما رمقت عيناي بعدك منظراً
لغيرك إلا قلت قد رمقاني) (ولا خطرت في السر مني خطرة * لغيرك إلا عرجا بعناني)
(وإخوان صدق قد نسيت حديثهم * وعرجت عنهم خاطري ولساني) (وما الزهد أسلى عنهم
غير أنني * وجدتك مشهوداً بكل مكان) واعلم أن كل من وصل إلى
صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو ذو رتبة في الوصول
وإن تفاوتوا فيها كالملائكة فمنهم من يجد الله بطريق الأفعال
فيفنى عن فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة
من التدبير والاختيار وهذا تجلي بطريق الأفعال ومنهم من
يوقف في مقام الهيبة والأنس لما يكاشف قلبه من مطالعة الجمال
والجلال وهذا تجلي بطريق الصفات ومنهم من ترقى إلى مقام الفناء
مشتملاً على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة مغيباً في شهوده عن
وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين والمقربون
هم الذين أخذوا عن حظوظهم وإراداتهم واستعملوا في القيام
بحقوق مولاهم عبودية له طلباً لمرضاته وهم العارفون أهل
صفو اليقين وإليهم أشار الناظم بالمبتهج والأبرار هم الذين
بقوا مع حظوظهم وإراداتهم وأقيموا في الأعمال الصالحة ومقامات
اليقين ليجزوا على مجاهداتهم برفيع الدرجات وهم الزاهدون

واليهم اشار بالمنتهج ومع الاحوال المذكورة ينبغي للعبد ان
يعلم انه لم يصل الى شئ فاين الوصول هيهات اولا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يستغفر في اليوم مائة مرة واستغفاره
انما هو بحسب اختلاف رتب التجلي له حتى يرى ان كل تجل بالنسبة
الى ما فوقه موجب للاستغفار ولذلك قال لا احصى ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك وفي البيت الجناس اللاحق والازدواج
وشبه الجناس ورد العجز على الصدر والمناسبة اللفظية والطباق
واذا ثبت ان العيش الكامل وبعضه في الجنة ومن المعلوم انه
لا يحصل ذلك عادة الا بالاعمال الصالحة (فهج الاعمال) وفي
نسخة وهج بالواو يقال هاج فلان الشئ هيجا وهياجا وهيجانا
اذا اثاره وحركه وهاج الشئ اذا ثار وتحرك يتعدى ولا يتعدى
وقد استعملهما الناظم اي اثر الاعمال وحركها بمعنى ادمها
(اذا ركدت) اي سكنت والمراد قلت لانه صلى الله عليه وسلم كان عمله
ديمة رواه مسلم ولقوله صلى الله عليه وسلم احب العمل الى الله ادومه وان
قل رواه الشيخان (فاذا ما) زائدة للتاكيد (هجت) اي ادمت الاعمال
(اذا) بالتنوين اي اذ قلت (تهج) اي تدوم وفي البيت الطباق
ورد العجز على الصدر والترديد وشبه الجناس والجناس اللاحق
والارصاد والتعطف وهو ان تعلق لفظة او ما تصرف منها
بمعنى في الصدر ثم بمعنى آخر فيما سوى الصدر من العجز وهو هنا
في هجت وتهج فشبه المصراعين في انعطاف احدهما على الآخر بالعطفين
وكون كل منهما يميل الى الجانب الذي يميل اليه الآخر والتخلص

تعطف

مخلص

وهو الخروج بما شبب الكلام به الى المقصود مع رعاية الملايمة بينهما والناظم قد شبب كلامه اولاً بذكر احوال اهل النهايات من المبتهجين والمنتهجين ثم ختمه بالاشارة الى الوصول ثم حضهم على دوام الاعمال ثم خرج من ذلك الى ذكر احوال اهل البدايات مع رعاية الملايمة بينهما من حيث ان هؤلاء يخاطبون بابتداء الاعمال واولئك بدوامها * ثم اشار الى مقام التوبة بتقبيح المعصية فقال (ومعاصى الله) تعالى (سماجتها) من سمج بالضم اى قبح (تزدان) اى تزين وتحسن (لذى الخلق) بضم الخاء واللام ما طبع عليه الانسان بلا تكلف كالكرم والشجاعة (السمج) اى القبيح وسماجتها بدل اشتمال من المبتدا قبلها ومبتدا وخبره تزدان وهو مع خبره خبر الاول وتزدان اصله تزين بوزن تفتعل من الزين تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت الفا ووقعت تاء الافتعال وهي من الحروف الرخوة بعد الزاى الشديدة فتنافرتا فابدل من التاء دالاً وابقيت بحالها ويجوز قلبها زايا وادغامها فى الزاى قبلها ويجوز قلب الزاى دالاً وادغامها فى الدال المبدلة وفى البيت الطباق ورد العجز على الصدر * ثم اشار الى ترغيب ذوى النهايات فى مداومة الاعمال فى الطاعات فقال (ولطاعته) اى طاعة الله (وصباحتها) اى جمالها (انوار صباح مبتلج) اى اضواء ظاهرة ظهور ضوء الصباح الواضح وبها تذهب ظلمات الجهل عن القلب وظلمات الغفلة عن الروح ويفوز المطيع بالمنى من النعيم الذى منه النظر الى وجهه الكريم والطاعة غير القربة والعبادة

الفرق بين الطاعة والقربة والعبادة

لانها امتثال الامر والنهى والقربة ما تقرب به بشرط معرفة
المتقرب اليه والعبادة ما تعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود
فالطاعة توجد بدونهما فى النظر المؤدى الى معرفة الله تعالى
اذ معرفته انما تحصل بتمام النظر والقربة توجد بدون العبادة
فى القرب التى لا تحتاج الى نية كالعتق والوقف وظاهر كلامه
ان للطاعة انوارا وان كان المطيع فاسقا وهو كذلك قال
ابن عطاء الله ويكفى فى تعظيم المؤمنين ولو كانوا عن الله غافلين
قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية
اثبت لهم الاصطفاء بالايمان وان كانوا ظالمين وفى البيت
التتميم والايغال وشبه الجناس * ثم اشار الى ترغيب ذوى
البدايات فى فعل الطاعات بتشويقهم الى نساء الجنة لانه امثل
بحالهم فقال (من يخطب) بالجزم بمن الشرطية من الخطبة بكسر الخاء
وهى طلب التزوج اى من يطلب من الله تعالى (حور الخلد) اى نساء الجنة
وفى نسخة حور العين (بها) اى بالطاعة ويوفه بها (يظفر) بالجزم
بمن اى يفز (بالحور) الكاملات الحسن اللاتى لا يوجد مثلهن فى الدنيا
(وبالغنج) بضم الغين مع ضم النون واسكانها وبفتحها حسن الشكل
بالكسر اى الدل يقال امرأة ذات شكل اى دل وغنج ويجوز فيه
تقدير مضاف اى بذوات الغنج فيكون من عطف الصفات الدالة
على اجتماعها فى ذات واحدة مثل قول الشاعر (الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتيبة فى المزدحم) وسميت نساء الجنة بالحور العين لانهن شبهن
بالظباء والبقر من الحور بفتح الحاء والواو وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها

وسُمّيت الجنة بالخلد لانها دار البقاء الدائم السالم من المحنة
وفي البيت الترديد والتتميم والايغال واذا ارادت الظفر بالحور
العين (فكن) الكفو (المرضي لها بتقى) بمعنى التقوى وتاؤهما
بدل من الواو وواو تقوى بدل من الياء بدليل الوقاية فيهما
اي بسبب تقى منك (ترضاه) بان تراه مقبولا اي مثابا عليه
لموافقته الشرع (غدًا) اي يوم القيمة واصله غدو حذفت واوه
بلا عوض وفي نسخة هوى اي هواك (وتكون) به هنالك (نجي) بالو
بحذف الحركة والالف على لغة ربيعة اي نجيًا من المكروهات
وجعل السبب فيما ذكر التقوى لانها اعظم الخصال وانفعها
ولهذا وصى الله بها الاولين والاخرين فقال تعالى ولقد وصّينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وفي الخبر
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني فقال عليك بتقوى
الله فانها جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلم
وعليك بذكر الله فانه نور لقلبك وحقيقتها اجتناب ما يخاف
منه ضرر في الدين وفي البيت التتميم في غدًا وشبه الجناس
ولما رغّب في فعل الطاعة عمومًا امر بتلاوة القرآن وغيرها فقال
(واتل القرآن) متدبرًا له (بقلب) اي فؤاد (ذي حزن) بفتح الحاء
والزاي اي حزين وفي نسخة ذي حرق جمع حرقة اي محترق (و) محسنًا له
(بصوت فيه شجو) اي حزين بمعنى رقيق من قولهم فلان يقرأ بالتحزين اذا رقّق
صوته وذلك لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلًا وللخبر الترمذي يقول الله عز وجل
من شغله القرآن عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين

وَفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على جميع خلقه *
وبخبر ابي داود وغيره زينوا القرآن باصواتكم قال الخطابي
معناه زينوا اصواتكم بالقرآن كما فسره غير واحد من ائمة
الحديث قال وقد روى كذلك وهو الصحيح ومعناه اشغلوا
اصواتكم بالقرآن والهجوا به واتخذوه شعارا وزينة انتهى
ولان ذلك اقرب الى توقير القرآن فقوله شج وصف على فعيل
بمعنى مفعول او فاعل فيكون مشددا لكنه خففه للوزن
ويحتمل ان يكون فعلا او مصدرا وعلى الاولين يكون صفة
لصوت وفيه حالا اى حال تلاوة القرآن وعلى الثالث يكون
بمعنى المصدر يجعله مبتدأ وفيه خبره اى في الصوت شج
اى حزن وفي البيت التكميل وهو ان يأتي الناثر او الناظم بمعنى
من مدح او غيره ثم يرى انه غير كاف فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلا
(وصلاة) وفي نسخة وقيام (الليل) اى نافلته وهي افضل من
نافلة النهار (مسافتها) اى كمسافة التلاوة فيها (فاذهب فيها
بالفهم) اى العلم (وحي) قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون
آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآية وروى الطبراني وغيره
خير شرف المؤمن قيام الليل ويكره قيام كل الليل دائما وان لم يضر
فيه نفسه والناظم شبه الصلاة بالمسافة لانها محل لكثرة التلاوة
كما ان المسافة محل لكثرة السير اى صلاة الليل محل لاكثار التلاوة
فاخصص التلاوة فيها بمزيد حضور وتامل ليتم لك لذة المناجاة
وتفيض عليك المعارف وفي البيت الطباق والارصاد والتتميم والايغال

(وتاملها) اى صلاة الليل (و) تامل (معانيها) اى مقاصدها الدينية والدنيوية الواردة فى الاخبار كخبر عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ومقربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم رواه الترمذى وغيره (تأت الفردوس) وهو حقيقة اعلى الجنة واوسطها لخبر البخارى فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة (وتفترج) من الهم والغم ويجوز ان يكون ذلك مجازا عن كمال لذة المعرفة الراسخة الحاصلة من التامل والمعنى اذا كررت التامل فى الصلاة كثرت معارفك وانوارك الدينية الشبيهة فى كمالها ورسوخها بالفردوس والموصلة اليه ويجوز عود الضمير الى الآيات المتلوة المفهومة مما مر والفعل المضارع اذا وقع بعد امر وقصد به السببية فانه يرفع سواء وقع صفة كقوله تعالى فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب على قراءة الرفع ام حالا ام استئنافا كقوله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون فانه يحتمل الوجهين ويحتمل الاوجه كلها قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى وقد قرئ لا تخف وفى البيت التتميم والايغال (واشرب) رو عتك (تسنيم مفجرها) بفتح الجيم المشددة اى مفجر الفردوس وهو الماء المجرى من فجرت الماء اجريته والتسنيم عين فى الجنة يشرب منها المقربون من سنمت الشئ رفعته سميت به لان شرابها ارفع شراب فى الجنة او لانها تأتيهم من فوق على ما روى

انهما تجري في الهوى متسنمة فتنصب في افواههم فيشربون منها
ما يريدونه حال كونه (لا ممتزجا) اي مختلطا بغيره وهذا
للمقربين (وممتزج) بغيره وهو للابرار قال تعالى يسقون
اي الابرار من رحيق اي خمر خالصة من الدنس ثم قال ومزاجه
اي ما يمزج به من تسنيم عينا يشرب بها المقربون اي منها او ضمن
يشرب معنى يلتذ وفسر في الآية التسنيم بقوله عينا الخ ونصبه
بأعني مقدرا او بالحالية من تسنيم وحاصله انك تجمع بين
اللذتين العجيبتين لذة التسنيم الصرف ولذة التسنيم الممتزج
والكلام على ظاهره ويحتمل انه شبه ما يظهر من معاني التلاوة
من المعارف والانوار بالتدبر والتفهيم في تاثر النفس به
استحسانا وكمالا بالماء المذكور خالصا وممتزجا وامر بقبول
تلك المعارف والانوار بقوله واشرب اي تلق بالقبول فهو
استعارة او كناية واشرب اما باق على معناه كما تقرر فيعطف
على الامر قبله او بمعنى الخبر فيعطف على جواب الامر السابق
وفي البيت الطباق ورد العجز على الصدر والجناس التام لا ممتزجا
وممتزج (مدح العقل الآتيه) اي الذي يأتي ما مر من الطاعة وغيرها
من المقامات وجلها معرفة الله التي بها سعادة الدارين والنهي لمناجاته
وفهم خطابه (هدى) اي دلالة على الطريق وهو مفعول له او حال
من فاعل آتيه او من مفعوله او منهما والعقل لغة المنع واصطلاحا
يقال بالاشتراك كما قال الغزالي لاربعة معان احدها غريزة
يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية قال وكانه نور يقذف في القلب

مطلب معنى العقل

به يستعد لادراك الاشياء ثانيها بعض العلوم الضرورية
ثالثها علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال رابعها انتهاء
قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة الداعية
الى اللذة العاجلة وتقهرها قال ويشبه ان يكون الاسم لغة
واستعمالا لتلك الغريزة وانما اطلق على العلوم مجازا من حيث
انها ثمرته كما يعرف الشئ بثمرته فيقال العلم هو الخشية ورابعها
هو مراد الناظم وعبر عن اولها الامام الرازي بانه غريزة يتبعها
العلم بالنظريات عند سلامة الآلات وعرفه الشيخ ابو اسحاق الشيرازي
بانه صفة يميز بها بين الحسن والقبيح وهو معنى قول الشافعي انه آلة
التمييز وعرفه اكثر الحكماء بانه جوهر متعلق بالبدن تعلق التدبير
والتصرف وبعضهم بانه جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها
في فعله وهو النفس الناطقة التي يشير اليها كل واحد بقوله انا عند
اكثر الحكماء والمعتزلة وبعضهم بانه جوهر لطيف في البدن
ينبعث شعاعه فيه كالسراج في البيت ومحله الدماغ عند اكثر
الحكماء وبعض الفقهاء والقلب عند اكثر الفقهاء وبعض الحكماء
ونقل عن الشافعي وهو الصحيح قال الشارح وهو الذي يدل عليه
نص الشريعة قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور واما فساده
لفساد الدماغ فلا يدل على انه محله لجواز ان يكون سلامة الدماغ
شرطا في اتصافه القلب به عادة (وهوى) مبتدأ وهو ميل النفس
الى الشهوة حلالا او حراما (متولى) اى معرض (عنه) اى عن ما جره
من الطاعة وغيرها من المقامات او عن الهدى وهو مضاف الى المتولي او موصوف

(هجى) خبر المبتدا اى ذم من هجوته هجوا وهجاء وتهجيا وانقلبت الواو ياء فى المبنى للمفعول لتطرفها وانكسار ما قبلها وفى البيت التتميم فى هدى والمقابلة وهى ان تجمع امور مختلفة ثم تقابل بضد كل منها كما قابل المدح بالذم والاتيان بالتولى والهدى بالهوى وكما فى قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا والطباق (وكتاب الله) تعالى (رياضته) اى تعليمه وتأديبه بامره ونهيه ووعده ووعيده ووعظه وضرب امثاله (لعقول الخلق) كائنة (بمندرج) اى بطريق واضحة يندرج فيها لصحتها ووضوحها من درج القوم واندرجوا مضوا فى سبيلهم والمراد به لا ثلم وضرب امثال وآيات لا قدح فيها ولا فى مقدماتها كالطرق المسلوكة لامنها واتضاحها والرياضة من رضت الدابة اى علمتها السير واضافتها الى ضمير الكتاب من الاسناد المجازى كقولهم طريق سائر ونهر جار لان المعلم والمؤدب حقيقة هو الله لكن بالفاظ الكتاب فكانها الرائضة لعقول الخلق ففى ذلك تشبيه العقول بالدابة فى حاجة التعلم على طريق الاستعارة بالكناية وطوى ذكر المشبه به واكتفى بملازمه وخص الكتاب بالذكر لانه مرجع الادلة والآية الكبرى والنعمة العظمى فى بيان ما لا تهتدى اليه العقول وفى الاعتصام به من الفتن لخبر انه ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تجبرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره اضله الله

المقابلة

وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم
هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب معه الآراء ولا تشبع منه
العلماء ولا تمله الاتقياء من علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم
به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط مستقيم * ورياضه
بدل اشتمال من المبتدا قبله او مبتدأ ثان خبره بمندرج وهو مع
خبره خبر الاول واللام زائدة لتقوية العامل لضعفه بالفرعية
وتنوين مندرج للتكثير والتنويع (وخيار الخلق) وفي نسخة
الناس اي افضلهم (هداتهم) الى طريق الحق وهم العلماء العاملون
يقال هديته للطريق والطريق والى الطريق اي دللته عليه ويدل
لما قاله ادلة كثيرة كقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط فبدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث
باولي العلم دون غيرهم وناهيك به شرفا وقوله يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس لهم درجات
فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة
عام وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر خشيته فيهم
واعظم به شرفا لان معرفته سبب خشيته وقوله صلى الله عليه وسلم
من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان
الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وان العالم
يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل
العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي
على ادناكم وان العلماء ورثة الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما

مطلب في فضل العلماء

وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر رواه ابو داود والترمذي وغيرهما (وسواهم من همج الهمج) لخبر الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لاخير فيهم رواه ابن ماجه بلفظ العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولاخير في سائر الناس والهمج جمع همجة وهي الشاة المهزولة والذباب الصغير الذي يسقط على وجوه الغنم والحمير شبه بذلك غير الهداة في قلة الهمة وخسة القدر ثم بالغ في اضافتهم الى الهمج بان جعلهم من همج الهمج على طريق التجريد التشبيهي الذي هو ابلغ انواع التجريد تنبيها على ذم العلم الذي لا ينفع صاحبه عند الله بان قصد به حظا او جاها دنيويا فيأثم لخبر اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه علمه . رواه الطبراني والبيهقي وخبر لايكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا رواه ابن حبان والبيهقي موقوفا على ابي الدردا وفي البيت الجناس التام ورد العجز على الصدر والمقابلة وهي ان يؤتى بمعنيين متوافقين او اكثر ثم يقابل ذلك على الترتيب كما يقابل خيار الخلق بسواهم وهداتهم بهمج الهمج وكما في قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا والتجريد وهو ان ينتزع من متصف بصفة آخر مثله فيها لاجل المبالغة في كمالها فيه مثاله في التشبيه لئن لقيت زيدا لتلقين منه بحرا او لتلقين به اسدا تعنون نفس زيد والناظم جرد غير الهداة من همج الهمج بعد التشبيه مبالغة في الذم ولما اشار الى خطر العلم والعمل فيمن قصد بهما قصدا مذموما اشار الى عظم الامر بالجد فيهما والصبر عليهما

التجريد

ليسلم الآتى بهما من الخطر فقال (واذا كنت المقدام) اى كثير الاقدام على العدو بشجاعتك وال فيه للعهد العلمى على سبيل الله اى لكامل فى الاقدام او للاستغراق المجازى اى الجامع لخصائص جنس المقدام كقولنا انت الرجل علماً (فلا تجزع) اى تضطرب وفى نسخة فلا تلوى اى تعرض (فى الحرب) اى القتال (من اجل (الرهج) اى الغبار اى كن فى جدك ونشاطك قوى القلب بالله نافذ العزم فيما لا تطلبه كالمقدام الذى لا يرده عن مقصده رادّ وان عظم واذا كنت كذلك فلا تجزع فى مجاهدتك الشيطان والنفس ومخالفتهما الشبيهة بالحرب من العوارض الشبيهة بالرهج فى الدناءة كوسوسة النفس والشيطان وهوى النفس لانهما يقولان لك ان كنت خلقت سعيداً لم يضرك ترك العلم والعمل او شقياً لم ينفعاك وارفع هاتين الشبهتين بان تقول انما انا عبد الله ومن شأن العبد الامتثال للعبودية والرب يحكم ما يشاء ويفعل ويختار ما يريد ولان العلم والعمل ينفعانى كيف ما كنت لانى ان كنت سعيداً ازددت بهما ثواباً او شقياً فلا الوم نفسى ولان الله لا يعاقبنى على الطاعة بكل حال ولا نضرنى على انى ان دخلت النار وانا مطيع احب الىّ من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب ومما تقرر ظهر ان الحرب مستعارة لمجاهدة الشيطان والنفس بجامع المشقة وان الرهج مستعار للخواطر الواردة على القلب منهما بجامع الدناءة

وهذه الاستعارة مرشحة للاولى لان الرهج من لوازم المستعار
منه وهو القتال فتشبيه المجاهدة بالحرب استعارة تصريحية
واثبات الرهج لها ترشيح وفي البيت الايغال (واذا ابصرت)
بعد جدك في العلم والعمل واعراضك عن العوارض الدنيئة
(منار هدى) الى الطريق المستقيم (فاظهر فردا) اي فاعل منفردا
(فوق الثبج) بفتح الباء اي الوسط او المعظم من منار الهدى
لتصير من المختصين به المتمكنين منه والمنار مفعل من
النور وهو ما يحل فيه النور وهو ايضا العلم الذي ينصب
في الطريق للاهتداء به واستعار الابصار وهو رؤية العين
للعلم لان المحسوس اجلى من المعقول فشبهه به في الجلاء
واستعار بعد تشبيه الهدى بالنور المنار للدليل الواضح
المفيد للعلم والعمل او للشيخ المفيد لذلك فقد قالوا من
لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه وقال الشيخ ابو مدين من لم
يأخذ ادبه من المتأدبين افسد من يتبعه وقال ايضا
الشيخ من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك
باشراقه فتشبيه الهدى بالنور استعارة بالكناية واثبات
المنار له استعارة تخييلية واستعار الثبج لاقوى واشرف
ادلة العلم واسباب العمل لان وسط كل شيء خياره ومعظمه
اقواه وال فيه لتعريف العهد الخارجي لتقدم ما يستلزمه
مصحوبها وهو منار هدى وفي البيت التتميم في فردا
او الاتساع لتنوع محامله الصحيحة المعنى في اصل الكلام ومفرداته

(واذا اشتاقت نفس) اى مالت الى محبوبها ميلاً تحترق به الاحشاء بحيث لاتسكن باللقاء والتنوين للتكثير والتنويع اى نفوس كثيرة صادقة فى المحبة راسخة فى المعرفة (وجد الا) تنوينه للتكثير والتنويع ايضاً (بالشوق) اى بسبب شوقها (المعتلج) اى الشديد وال فى الشوق لتعريف العهد الخارجى لتقدم ما يستلزم مصحوبها والاشتياق اعلى من الشوق لانه لايسكن باللقا كما مر بخلاف الشوق قال تاج العارفين ابن عطاء الله والمحبة اعلى من الشوق ايضاً لانه ينشأ عنها ويؤخذ منه انها اعلى من الاشتياق ايضاً وفى كل منهما وقفة والوجه حمله على الطالب لذلك فاذا قصد الشوق فتحصل المحبة اعلى منه فى حقه لان الثمرة انما تكون عن متمم والاعتناء بالمثمر قبل الثمرة اولى اما بعد حصولهما فظاهر ان الشوق اعلى كمعرفة الله مع النظر المحصل لها والمحبة تنشأ عن قوة العلم بالمحبوب فمن قوى علمه بالله كانت محبته له اكثر ومن عرف فضل العلم والعمل احبهما وهى لغة ميل القلب الى الشىء وتستحيل فى حق الله تعالى بهذا المعنى فالمراد لازمه فمحبة الله تعالى للعبد عصمته له وتوفيقه للقرب منه وثناؤه عليه وتفضله عليه بما يرقيه وغايته كشف الحجب عن قلبه حتى يراه به فيكون اذ ذاك من اجل الواصلين المقربين كما نبه عليه صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه من قوله فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث وسبب ذلك التجرد لله والانقطاع اليه

والاعراض عن غيره بصفاء القلب واخلاص الحركات والسكنات
ولاريب ان هذه مرتبة ينشأ عنها الشوق الى لقائه وحب الموت
ووجدُ مأخوذ من وجد مطلوبه وجودا ظفر به بعد ان لم يكن
ظافرا به ومن وجد ضالته وجدانا بكسر الواو ظفر بها بعد
ذهابها عنه او من وجد وجدا حزن اى حزنت من الم الشوق
والاول هو المتبادر وفى البيت التتميم والايغال والاتساع
والتعطف وشبه الجناس (وثنايا) المرأة (الحسنا) بالفتح
والقصر للوزن وبالضم مؤنث احسن ككبرى واكبر وهى اربع
ثنتان من اعلى وثنتان من اسفل (ضاحكة) صاحبها (وتمام
الضحك) منها بكسر الضاد واسكان الحاء لغة فى الضحك بفتح
الضاد مع كسر الحاء واسكانهما وكسرهما كائن (على الفلج) منها
بفتح اللام من فلج بكسرها وهو تباعد ما بين الاسنان وحسن
فيها اى وادلة العلم واسباب العمل واضحة حسنة لا لبس فيها يخاف
منه الهلاك والوقوع فى الضلال وانما يخاف مما يعرض للسالك
من جهة الشيطان والنفس وتمام وضوحها الوضوح اصلها لانه وضع
من لا ينطق عن الهوى فشبه دلائل العلم واسباب العمل بثنايا
امرأة حسنا وكنى بكل من الثنايا والفلج عن المرأة من الحور
العين وبالضحك عن الرضا والسرور اى الحور راضية مسرورة
بزوجها المجد فى العلم والعمل لا تبغى به بدلا وان كان غيره
اجل منه واحسن وتمام رضاها وسرورها مع حسن ذاتها
الحسنا السليمة من كل نقص لم تتكلفه لامر تخاف على نفسها

ان يرغب زوجها عنها من نقص ذاتها وسوء خلقها ونحوهما وعلى للتعليل او للمصاحبة او للاستعانة والجملة الاخيرة معطوفة على التي قبلها او حال من ضمير ضاحكة وفي البيت الاتباع والتعطف وشبه الجناس والتكميل والاحتراس

الاحتراس

في العجز وهو ان يؤتى في كلام يوهم بخلاف المراد فيما يدفع الايهام ومنه قوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس بقوله من غير سوء عن امكان ان يدخل في البياض البرص والبهق (وعياب) جمع عيبة وهو وعاء من جلد تصان فيه الامتعة كالثياب ويطلق مجازا على من هو محل سرك من رجل او امراة ومنه الانصار عيبتي (الاسرار) جمع سر وهو ما يكتم وفي نسخة وعياب السر قد (اجتمعت) اي عياب الاسرار (بامانتها) اي عليها او معها والامانة ضد الخيانة والمراد ما تؤتمن عليه (تحت السرج) بفتح السين والراء اي عز العيب واراد بالاسرار اسرار الله تعالى في خلقه مما حجبهم عنه ولم يطلع عليه احدا الا من شاء ممن اصطفاه فشبه حجب الاسرار الغيبية في منعه الخلق عنها الا من يشرله بعيبة مملوءة فقد شد بعراها شدا وثيقا حتى لا يخرج منها شئ ولا يطلع على ما فيها الا من اذن له في حل عراها فيصل الى ما فيها من الامانات والاسرار قال بعض العارفين العلم بمنزلة البحر اجرى منه واديا ثم من الوادي نهرا ثم من النهر جدولا ثم من الجدول ساقية فلو جرى البحر الى النهر او الوادي الى الجدول لغرقه وافسده وهو المراد بقوله تعالى

انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله
اعطى الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل من اوديتها العلماء
انهارا ثم اعطت العلماء من انهارها العامة جداول بقدر
طاقتهم والمناسب ان يقيدها بالعامة المتفقهة ويقال ثم
اعطت المتفقهة من جداولها غير المتفقهة سواقي وسبب
ذلك ان العقول الضعيفة لا تحمل الاسرار القوية كما لا
يبصر الخفاش نور الشمس ومما اخفاه الله تعالى عن خلقه رضاه
عنهم فهو وان كان في الطاعة لكن الطاعة التي يعلم العبد
ان الله يرضى عنه بفعلها وضدها غيب لا يعلمها الا من اطلعه الله عليه
لئلا يحتقر المكلف منها شيئا وكذا غضبه عليهم مخفي في
معصيته كذلك وكذا ولي الله مخفي في خلقه قال
ابن عطاء الله اولياء الله قليل من يعرفهم قال وسمعت الشيخ
ابا العباس المرسي يقول معرفة الولي اصعب من معرفة الله تعالى
فانه تعالى معروف بجماله وكماله ومتى تعرف مخلوقا مثلك ياكل
كما تاكل ويشرب كما تشرب قال واذا اراد الله ان يعرفك بولي
طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود خصوصيته اهـ
فوجود البشرية كالعيبة المسرجة على امانتها وهي وجود الخصوصية
المستورة بها وحكمة هذا الاخفاء حسن الظن بين الخلق
وهو من اجل القربات والمقصود بهذا البيت ان ما اخفي
عن العالم الراسخ والعارف المكاشف اكثر مما عرفه لان كل احد
انما يعلم ما فتح الله به عليه والله تعالى يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا

ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله ولا يحيطون
بشئ من علمه الا بما شاء فاذا ارتضى الله عبدا من خلقه اطلعه
على بعض تلك الاسرار الغيبية اللدنية كما قال في حق الخضر
عليه السلام وعلمناه من لدنا علما وفي البيت الايغال (والرفق)
وهو التوسط واللطافة في الامر والفعل من الاول رفق
بالفتح ومن الثاني بالفتح والضم (يدوم) به العمل (لصاحبه
والخرق) بفتح الخاء مصدر خرق بضم الراء ويقال بكسرها ضد
الرفق وبضم الخاء اسم الحاصل بالفعل (يصير الى الهرج)
باسكان الراء الفتنة وكثرة الفساد وبفتحها تحير البصر
لكنه على الاول فتحها ايضا للوزن وهو بالمعنيين كناية
عن انقطاع الفعل لان الفتنة والتحير لا يدوم معهما فعل
اى من سلك في كل ما مر من المطالب العلمية والعملية بالرفق
مع الناس في تحصيلها ولم يجهد نفسه دامت له فاستفاد
وافاد وهدى واهتدى ومن كلف نفسه فوق طاقتها وعامل
الناس بصلابة الجانب لم ندم له لجهله فضل واضل وما ذكره
في البيت رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ ما كان الرفق في شئ
قط الا زانه وما كان الخرق وفي رواية الفحش في شئ قط الا
شانه وان الله رفيق يحب الرفق وروى البخاري ان الله يحب الرفق
في الامر كله وخبر ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه
فسددوا وقاربوا وبشروا وفي البيت المقابلة والعقد وهو
ان ينظم نثرا قرآنا او حديثا او مثلا او غيره على وجه الاقتباس

العقد

والفرق بينهما ان الاقتباس نظم قرآن او حديث خاصة بلفظه او بتغيير يسير ولا ينبه على انه منهما كما مر بخلاف العقد في جميع ذلك وبراعة الختام وهي سهولة اللفظ وحسن السبك بحيث يرتسم في النفس ويتلقاه السمع ويستلذ ويجبر ما وقع فيما فيما سبق من التقصير ان كان ولا ريب ان هذا البيت كذلك وهو اجود بيت يحسن السكوت عليه بل على كل مصراع منه لتضمنه ما ورد في الخبر كما عرفت* ولما فرغ من التنبيه على التصفية القلبية والتزكية النفسية وعلى المقامات العلية والحكم النبوية ختم ذلك بالدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم الواضع لتلك المسالك ولاصحابه الاربعة الخلفاء الحافظين طريقته الكاشفين لما اشكل من ذلك رضي الله تعالى عنهم وعن سائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال (صلوات الله) تعالى جمع الصلاة باعتبار انواعها وهي من الله تعالى رحمة ومن الملئكة استغفار ومن الآدميين تضرع ودعاء كائنة (على النبي) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان (المهدي) بفتح الميم اي الرشيد الموفق بخلق الهدى فيه لوجوب عصمته (الهادي) اي المرشد (الناس) من الانس والجن بالنصب بالمفعولية وبالجر بالاضافة (الى النهج) بفتح الهاء لغة واسكانها اي الطريق المستقيم

براعة الختام
٥

قال تعالى وانك لتهتدى الى صراط مستقيم اى الدين الشبيه
فى وضوحه وامنه بالطريق الواضح فاستعير النهج فى النظم
والصراط فى الآية لما اتى به النبى الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم من
الدين المستقيم والجملة خبرية لفظا انشائية معنى عدل عنها
اليها للمبالغة فى وقوع الصلاة فكانها ثابتة اخبر عنها بالحصول
وكان حقه ذكر السلام ايضا لانه يكره افراد الصلاة عنه
وبالعكس ولعله ذكره لفظا وفى البيت شبه الازدواج
وشبه الجناس والتتميم والايغال وتدبيج الاشتراك وهو
اشتراك المصراعين فى كلمة واحدة وهى هنا المهدى لان
آخر الاول منها الياء المدغمة واول الثانى المدغم فيها (و)
على الامام (ابى بكر) وهو افضل الصحابة واسمه عبد الله
ابن ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم
ابن مرة القرشى التيمى يلتقى مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فى مرة ويقال له عتيق لعتاقة وجهه اى جماله وقيل لانه
صلى الله عليه وسلم قال فيه من سره ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر
الى هذا وصديق لمبادرته الى تصديق النبى الاكرم صلى الله تعالى
عليه وسلم فى جميع ما جاء به فهو صادق (فى سيرته) اى طريقته
التى منها مبادرته للاسلام مع وجاهته ورياسته ومنها
انفاقه ما اسلم عليه من ماله وهو اربعون الفا فى سبيل الله
وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم واعتاقه سبعة ممن كان يعذب فى ذات الله
كبلال وعامر بن فهيرة (و) فى (لسان مقالته البهى) بكسر الهاء

(الى هنا شرح البيت الرابع)

اى المثابر على الصدق من لهج به يلهج لهجا مثل فرح يفرح فرحا اى وقع
قول لسانه فاللهج صفة اللسان ويجوز ان يكون صفة لابى بكر
رضى الله عنه وبالغ فيما قاله فجعل لسانا قوله ظرفا للصدق فلا
يتحرك الا به كما ان سيرته ظرف للصدق فاستوى ظاهره
وباطنه لان الافعال والاقوال دلائل السرائر وذلك
غاية الكمال وفى هنا وفيما يأتى للظرفية او للسببية او للمصاحبة
وفى البيت التكميل (و) على الامام (ابى حفص) عمر بن الخطاب
ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح
ابن عدى بن كعب القرشى العدوى يلتقى مع النبى الاكرم
صلى الله عليه وسلم فى كعب (وكرامته) اى المعروفة الظاهرة اذ له
كرامات اخر وفى نسخة وفراسته (فى قصة سارية) بن حصن
او الحصين او زنيم الديلى من انه كان يوم الجمعة يخطب بالمدينة
فرأى العسكر بنهاوند وجعل يصيح يا سارية الجبل الجبل
فصعد سارية وجند الجبل وقاتلوا الكفار وهزموهم
وكتبوا بذلك الى عمر وجاء به البشير حتى اتى الى عمر بعد شهر
واضاف سارية الى (الخلج) بضم الخاء واللام قوم من العرب
من عدوان فالحقهم عمر بن الخطاب بالحارث بن مالك بن النضر
ابن كنانة وسموا بذلك لانهم اختلجوا من عدوان وبفتحهما
وهو ان يشتكى الرجل عظامه من عمل او طول مشى وتعب وبفتح
الخاء وكسر اللام المشتكى من ذلك تنبيها على عظم الامر وشدة
الكرب كقولهم فى جد النبى الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم شيبة الحمد

لكثرة حمد الناس له في الامور وقولهم في طلحة الصحابي طلحة الخير لكثرة خيره ويجوز جعله نعتاً لسارية وان كان مصدراً بتقدير فتح اللام لان المصدر ينعت به على المبالغة او لتأويله بالوصف والكرامة امر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة منه وفيها تثبيت له ولهذا عما وجدها اهل البدايات في بداياتهم وفقدها اهل النهايات في نهاياتهم لان ما هم عليه من الرسوخ والتمكن لا يحتاجون بعد الى تثبيت ولذلك قل ظهورها على يد السلف الصالحين والتابعين واعلم ان الامر الخارق للعادة بالنسبة الى النبي معجزة سواء ظهر من قبله او من قبل آحاد امته وبالنسبة الى الولي كرامة لخلوه عن دعوى نبوة من ظهر ذلك من قبله وبالنسبة الى غيرهما خذلان واستدراج والنبي لا بد من علمه بانه نبي ومن قصد اظهار الخوارق ومن حكمه قطعاً بموجب المعجزات بخلاف الولي وصاحب الكرامة لا يستأنس بها بل يشتد خوفه مخافة ان يكون ذلك استدراجاً والمستدرج يستأنس بما ظهر عليه وعند ذلك يستحقر غيره وينكر عليه ويحصل له الامن من مكر الله وعقابه فاذا ظهر شئ من هذه الاحوال على من ظهر عليه ذلك دل على انه استدراج لا كرامة ولذلك قال المحققون اكثر ما اتفق من الانقطاع عن حضرة الرب انما وقع في مقامات الكرامات ولذلك كانوا يخافون منها كما يخافون من اشد البلاء وفي البيت التلميح من لمحة

اذا نظره وهو ان يشير في الكلام الى قصة اوشعر او مثل
سائر من غير ان يبين واحدا منها فيه كما اشار الى قصة
سارية ولم يبينها (و) على الامام (ابي عمرو) ويقال ابو عبد الله
وابو ليلى عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد
شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي *
يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف (ذي
النورين) لانه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم رقية
ثم ام كلثوم وبعد موتها قال له النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان لي غيرها لزوجتكها (المستحيي المستحيى) بكسر
باء احدهما وفتح ياء الاخر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
جالسا بحافة بئر وهو مكشوف الفخذ فدخل ابو بكر
فسلم فلم يغط فخذه ودخل عمر فلم يغطه ودخل عثمان
فغطاه وقال الا استحيي ممن استحيت منه الملائكة
رواه البخاري وغيره وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
عثمان اخيا امتي واكرمها وفي نسخة المستشهد المستحيي
وفي اخرى المستحيي المحيي بكسر ياء الاول اوفتحه وفتح ياء
الثاني اشارة الى انه شهيد فهو حي بنص القرآن (الابهج)
بالموحدة اي حسن الخلق والخلق قال ابن عبد البر
كان جميلا طويل اللحية حسن الوجه رقيق البشرة عظيم
اللحية اسمر اللون كان يصفر لحيته ويشد اسنانه بالذهب
وفي نسخة النهج بالنون من نهج الطريق اذا وضح اومن

نهج وانهج اذا بلى اومن نهجت الطريق وانهجته اى اوضحته
فيكون على الاول اشارة الى اشتهار فضل عثمان ووضوحه
كوضوح الطريق المسلوكة وعلى الثانى اشارة الى ما اصيب
به فى ذات الله تعالى من انتهاك حرمته لان بلاء الثواب
انما يكون غالبا بقلة المبالاة فى استعماله وعلى الثالث
اشارة الى ايضاحه طريق الاسلام بتمييز القرآن
عن غيره وجمعه له فى المصاحف وتوجيهها لامصار
المسلمين وفى البيت الجناس المحرف (و) على الامام
(ابى حسن) على بن ابى طالب كرم الله وجهه واسمه
عبد مناف بن عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم
ويقال له شيبة الحمد كما مر بن هاشم بن عبد مناف بن
قصى القرشى الهاشمى يفزع اليه (فى العلم اذا وافى
بسحائبه) جمع سحابة وهى الغيم كما مر (الخلج) بضم الخاء
واللام جمع خلوج بفتح الخاء السحاب المتفرق ويقال
السحابة المنفردة الكثيرة الماء استعار لانواع علومه
السحائب ورشح هذه الاستعارة مبالغة بخلج اى
يفزع اليه فى مشكلات العلم لتعليمه اياه اذ حصل
بعلومه الكثيرة النفع للناس فى كل قرن وكل ناحية
كالسحائب المتفرقة النافعة بمائها وقام الاجماع
على غزارة علمه وما احتج به من خبر انا دار الحكمة
وفى رواية انا مدينة العلم وعلى بابها

قال الترمذى انه منكر والنووى انه باطل ومن كلماته العز فى تسع كلمات ثلاث فى المناجات وهى كفانى فخرا ان تكون لى ربا وكفانى عزا ان اكون لك عبدا وانت كما احب فاجعلنى كما تحب * وثلاث فى الحكمة وهى قيمة كل امرئ ما يحسنه وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه والمرء مخبوء تحت لسانه * وثلاث فى الادب وهى استغن عن من شئت فانت نظيره وتفضل على من شئت فانت اميره واضرع لمن شئت فانت اسيره * فهذه فوائد كلمات يستدل بها على ما لم نذكره وباء بسحائبه للمصاحبة مثلها فى جاء زيد بعلمه وثيابه اى ملابسا سحائبه وفضائل الائمة الاربعة كثيرة مذكورة فى محلها وانما اقتصرنا على ما ذكر لكون الناظم اشار اليه وفى البيت التتميم والايغال وفى نسخة بدل الخلج الثلج وبعده

وصحابته وقرابته * وثقات الامر على نهج
واذا بك ضاق الذرع فقل * اشتدى ازمة تنفرجى

وفى نسخة اخرى بدل هذين البيتين خمسة ابيات وهى

وهدى بضياء الذكر وذلك * القوم على اسنى نهج
وعلى اتباعهم العلما * بعوارف دينهم البلج
وعلى السبطين وامهما * وجميع الآل بهم نلج
وعلى الاصحاب بجملتهم * بذلوا الاموال مع المهج

يا رب بهم وبآلهم * عجل بالنصر وبالفرج

وأنا أسأل الله تعالى أن يمن علي وعلى جميع أحبائي بتوبة صادقة ونعمة صافية وعافية وافية * قال مؤلفه رحمه الله تعالى تم الشرح بحمد الله تعالى وعونه في حادي عشر ذي الحجة الحرام سنة ٨٨١ ثمانمائة وواحد وثمانين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين م

بعون مجيب الطلاب * المنير بطبع هذا الكتاب * بمطبعة الأستاذ * القدوة الملاذ * الشيخ محمد يحيى شيخ الطريقة السعدية * بثغر الإسكندرية * أحيا الله ذكره * وأدام شكره * بنفقة كل من حضرة أسنى الكتاب * حضرة محمد أفندي فتح الباب * وحضرة أسنى منهل عذب للوارد * مصطفى أفندي راشد * لا زالت أخلاقهما على فعل الجميل مطبوعة * وألوية نشر العلوم بأكفهما مرفوعة * وذلك في الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٨٨ من هجرة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابته والآل * أهل السيادة والفخار والكمال * آمين م

